



الخزف الإسلامي و القاشاني :أساليب وجماليات

د. صبا قيس الياسري

قبل الخوض في هذا الموضوع، يتبادر إلى الذهن حقيقة ان الفن الاسلامي هو فن متطور استمد أصوله من الحضارات السابقة وموروث الأقاليم عند الفتح الاسلامي، ولكنه أغناها إلى أن أصبحت هذه الفنون منارة وفن عالمي.

أما أقدم البلاطات الإسلامية، فهي التي عثر عليها في الحفائر التي أجريت بمدينة سامراء ٢٢١- ٢٧٦هـ، أي في العصر العباسي، وأنها كانت تستخدم في كسوة جدران المباني. كما وجد ان ما يكسو محراب جامع عقبة بن نافع بالقيروان من قاشاني يشابه لحد كبير مما عثر عليه في سامراء، أي من أصل عراقي، ومن خلال معرفة العلاقات بين العراق وسلاجقة إيران، ومن متابعة المخططات التي حوتها

موسوعة حسن باشا يتضح أن فن البلاطات الخزفية ازدهر في الفنون التركية والفنون الإيرانية ، ومن معرفة اصل ومؤثرات الفنون الإيرانية والسلجوقية ومن قبل الساسانية على الفنون التركية يتبين لنا أصل بلاطات القاشاني ، التي ازدهرت وتطورت وأصبحت فن قائم بحد ذاته على أيدي الفنانين والمهرة المسلمين ، لتصل إلى أبهى صورها في الخزف التركي ، الذي لطالما كانت له المكانة المرموقة في الخزف الاسلامي ، لدقة صناعته و ألوانه الجميلة ، وبالتأكيد ذلك لم يأت من العدم بل من عدة عوامل أثرت فيه من أهمها العامل الجغرافي ونوعية طينة البلاد مما يسمح بإنتاج أفخر أنواع الخزف ، كما والعامل الاقتصادي ، اعتمادا على ترف البلاد كون تركيا كانت عاصمة العالم الاسلامي ، إضافة إلى الاستقرار السياسي الذي لازم البلاد واقصد الدولة العثمانية التي كانت متحكمة آنذاك بزمام الأمور ، إذاً كل ذلك أدى في النهاية إلى نمو وازدهار الخزف ، فأخذت المصانع تنمو وتصبح عالمية، وأخص بالذكر مصانع مدينة أزيك التركية ، والذي أصبح يطلق على خزفها خزف أزيك ، والذي أهم ما يميزه روعة التصاميم الزخرفية واللون الأحمر الطماطي، وذلك خلال الفترة الزمنية المحددة من نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ولغاية إطلالة القرن الثامن عشر الميلادي، الذي بحلوله تقريبا أقفلت أزيك مصانعها وفتحت بدلا عنها لتلبي احتياجات السوق مصانع كوتاهيه و تكفور سراي و جناق قلعة ، لتلبي حاجات السوق ومن هنا بدأ ظهور اللون الأصفر من جديد ، بعد اختفائه من مرحلة خزف أزيك، كما والألوان بدت منطفئة في المراحل الأخيرة من الخزف التركي، وظهر اللون البنفسجي والأخضر الزيتوني وبهت اللون الأحمر حتى صار بنيا ، وخطوط التحديد سوداء مخضرة ، أما الأرضية أصبحت مائلة إلى الزرقة مع ظلال خفيفة من التعرج والتغضن، أما العناصر الزخرفية فتنوعت من بلورات نجمية والزهرة البيضاء كما ورسوم القصر والمسجد والسفن الشراعية . [1]

أعظم منتجات الخزف التركي في العصر العثماني كانت البلاطات الخزفية القاشاني وقسمت من حيث أسلوب صناعتها إلى ثلاثة أقسام ، أولها بلاطات الفسيفساء ، وهي تتكون من طينة بيضاء ومطلية ببطانات ملونة ، وتغطي هذه البطانات بطلاء زجاجي شفاف، أما تصميم هذه البلاطات فيكون على شكل قطع صغيرة ، بحيث تكون ضمن مجاميع منها الوحدات و التصاميم الزخرفية ، النباتية منها أو الهندسية أو المشاهد التصويرية. واستمرت صناعة هذا النوع من البلاطات حتى أوائل القرن الثامن عشر الميلادي . أما النوع الثاني فهو بلاطات القاشاني المربعة، وقد ظهرت نتيجة لما تحتاجه البلاطات الفسيفسائية من جهد ووقت وأيدي عاملة ، على عكس البلاطات المربعة فبالمقارنة وفرت الوقت والجهد ، كما أن التصاميم الزخرفية بدت تظهر أكثر دقة و اتقانا. أما النوع الأخير فهو بلاطات القاشاني البارز ، وهو الذي يستخدم في تكسية العناصر المعمارية غير المسطحة كحنيات المحاريب وبطون العقود و المقرنصات والقباب .. إلخ [2]

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن الفنون الإسلامية وتحديداً فن الخزف ، قد تطور في مختلف الأقاليم الإسلامية في إطار ما هو معروف من وحدة الحضارة العربية في

مختلف الأقاليم، بحيث يبدو الإنتاج في البلاد العربية كافة له مسحة الحضارة العربية مع اختلافات بسيطة بالنسبة لكل إقليم أو للبلاد التي أنتجته ، كما وقد شمل إنتاج الخزف جوانب متعددة أمام احتياجات الناس اليومية، سواء أكانت هذه الاحتياجات عامة أو خاصة، فقد صنع الفنان المسلم بلاطات الخزف على أشكال مختلفة لكسوة الجدران، وكذلك بعض المحاريب ،كما تعددت أنواع الخزف الإسلامي في أشكاله وطريقة معالجته، وأساليب البرامج الزخرفية ،التي يتعاطى معها ، لدرجة أصبح معها ليس له نظير.

- [1] هذه المعلومة يؤكدها معظم الباحثين أمثال زكي محمد حسن وحسن باشا وربيع حامد وسعاد ماهر و اوقطاي اصلان أبا وجون كيرسويل ...إلخ

- [2] ينظر سعاد ماهر : الخزف التركي ، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، مصر ، ١٩٧٧ ، ص -ص ٦٢ - ٦٤